الفصل السادس

أنواع الخطب

المبحث الأول

الخطابة الحفلية ، تعريفها ، خصائصها ، انواعها

الخطابة الحفلية: هي الخطب التي تلقى في المحافل لتكريم أو تأبين أو في تهنئة بنعمة خاصة أو عامة، أو في علاج مشكلة اجتماعية، وهذا النوع يكاد يكون موقوفا سماعه على الخاصة وأصناف المتثقفين السامعين من الطبقة ذات القدر القليل من الثقافة وقد يسمعه العامة، ولأن السامعين من الطبقة الممتازة لا يستطيع الخطيب أن يلقى الكلام بغير تروية فيه وتجويد، وأما خصائصها فهي:

١. يحسن أن تكون في جملتها واضحة الأفكار، سهلة التعبير، طلية رقيقة معتمدة على الوسائل الخطابية، ولا تكفي الوسائل الخطابية وحدها، لأن الخطبة ستنشر وتقرأ، ولا تجزي الأدلة المنطقية، لأن هذا النوع في حاجة إلى فن الأدب والفكاهة الحلوة والأسلوب الرشيق.

٢. وعلى الخطيب أن يصدق في قوله، فلا ينسب للمكرَّم أو المُؤبَّن محامد ليست من حلاه، وأن يقتصد في ثنائه فلا يكيل المدح جزافا، وأن يتخذ خطبته وسيلة لتوجيه السامعين الى التحلي بصفات النبل التي من أجلها يكرّم المحتفل به أو يُؤبَّنُ المتوفي.

٣. وأمام الخطباء ثلاث طرق في منهج التكريم والتأبين: أن يذكروا تأريخ المحتفل به، وما مر به من أحداث منذ صغره، ويشفعوا ذلك بملاحظاتهم، وتعليقهم على بعض مواقفه أو أن يدرسوا قيمة المحتفل به وأثره في أمته ومميزاته وقد يجمعون بين الطريقتين إذا انفسح لهم الزمن، ولكن المنهج الحديث أن يتركوا تفاصيل تأريخ الحياة الى الجرائد والمجلات، لأن سردها حمل لا يستثير العواطف، فالخطيب الآن تدور خطبته حول بيان نواحي العظمة في المحتفل به وصفاته التي ميزته ومكانته في التأريخ بين أمثاله والدروس التي تستفيدها الأمة من عظمته، وذلك يحتاج إلى مهارة في تحليل الشخصية ولباقة في الموازنة بين المزايا والعيوب وتقدير المحتفل به تقديرا عاما والخطابة الحفلية أنواع:

أ. خطبة التكريم والمديح: وهي التي تقال ثناء على عظيم أو ذوي فضل ومهمة الخطيب تتجلى أن يبرز سمات عظمة المكرم وفضله.

ب. والفضائل أنواع شتى، منها العدالة والشجاعة والمروءة والعفة والسخاء والعظمة والتسامح وصيت الحسن والحكمة.

وكبريات الفضائل ما كانت أكثر نفعاً للناس، لان الفضيلة هي القوة التي تستطيع أن تمدنا بخيرات كثيرة، ولذلك تعلو العدالة والشجاعة سائر الفضائل، لأن العدالة تؤثر تأثيراً كبيراً في وقت الحرب، ويأتي بعد هاتين الفضيلتين الكرم، لان الكرماء يعطون بلا حساب، ولا يفكرون في موارد الثروة، ولإيجاد لون فيها غيرهم، بينما يريد غيرهم المزيد منها. وقد عرف آرسطو كل فضيلة من هذه الفضائل ثم قال: (وليس من الصعب أن يفهم الإنسان ما وراء هذه الفضائل، فمن الواضح ان كل ما ينشأ من الفضيلة جميل) [1].

٢. ثم يتعمق الخطيب في نظرته إلى الجميل من الأعمال، فيقرر أن الأشياء التي يكافأ عليها بالكرامة وحدها خير ما يجازى عليه بالمال، وأن كل ما عمل بدافع من الإخلاص المجرد عن المنفعة الشخصية جميل يستحق المدح. والأشياء التي تقدم لخير الوطن في غير رعاية للمصلحة الذاتية جميلة، والأشياء المفيدة بطبيعتها وليست مفيدة لمن قام بها جميلة، إذا كانت مفيدة لعُدَّ مدفوعاً إليها بدافع من الدوافع الذاتية. وجميل أيضا كل ما يمكن أن يفيد ميتاً ولا يفيد حياً، لأن ما يعمل للمنفعة الذاتية يرتفق حيٌّ لا ميت. وكذلك كل الأعمال التي تعمل لمنفعة الغير، لان المنفعة الذاتية هنا في المرتبة الثانية.

٣. وقد ينبغي في أدلة المدح والذم ألا يقتصر الخطيب على ما يتفق تمام الاتفاق مع الصفات الحقيقية، بل يعالج أيضاً ما هو قريب منها من فضائل تنشأ عنها أفعال

---

[1] ينظر : آرسطو ، الخطابة ، ج١ ص ص ١٦٨-١٧٠ .

النقيصة، ومن نقائض تنشأ عنها أفعال الفضيلة، فلا بأس من إظهار الحريص في مظهر الخائف أو المراوغ، وإظهار الرجل الطيب بمظهر الغفلة والبله، وعلى العكس يمكن إظهار الرجل السهل بمظهر الرجل الشريف وبطيء الإحساس بالرجل السهل الحياة، وفي كل حالة يختار من بين الصفات المتقاربة أقربها وأجداها على صاحبها فمثلا يشبه الرجل الغضوب الذي يثور لأدنى مثير بالرجل المخلص، والمتكبر بالعظيم المتسلط، ويظهر من يجدهم في حالة انفعالية غير عادية بمظهر من يملك الصفات المتصلة بهذه الانفعالات، فمثلا يكون المتهور شجاعاً والمسرف كريماً.

٤. وعلى الخطيب المكرّم أن يظهر ممدوحه مختاراً لما قام به من جلائل الأعمال، مريدا لها، وأنه كثيرا ما قام بأمثالها.

٥. حطبة المدح في حاجة إلى اطناب وتفصيل، كأن يذكر أن الممدوح أول من قام بهذا العمل الجليل، أو فكر في هذا الصنيع، أو أنه الوحيد الذي قام به، أو أن قليلا من الناس عملوا مثل عمله، أو انه تفوق على من أشبهوه في عمله. وكذلك يوضح الظروف والملابسات التي أحاطت بالعمل الجليل الذي قام به المكرم. والاطناب مستحب في خطب التكريم، لان التكريم يتناول الإشادة بفضائل يشترك الناس في تقديرها من الوجهة الخلقية، فليس أمام الخطيب إلا أن يفصلها ويجملها ويطنب في تحلية المكرّم بها.

٦. وليس من المستحب أن يتعرض الخطيب لشيء آخر غير الفضائل كثراء المكرم، أو مآثر آبائه، إلا تبعاً لمميزاته الخلقية والنفسية، كأن يثبت عراقة نسبه، ليؤكد أن عظمته تتمشى في أصوله، وأنه نَبَتَ في تربة مخصبة، أو عاش في جو ينمي العظمة، ثم يعرض لصفاته المكتسبة.

٧. ولقد يتعرض الخطيب للبيئة التي ولد فيها المكرّم، فيعرج على الحالة السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية التي عاصرت مولده ونشأته ثم يبق تأثيره فيها من حيث تغييره هبوطها إلى رفعها، وضلالها إلى هدى، وتأخرها إلى تقدم، أو من

حيث تأثره بها إن كانت صالحة، وتقدمه بها إلى استكمال الصلاح، ولابد للخطيب من مراعاة السامعين فيما يعرض من مدح، فيمدح المكَرَّم أمام من يحبه.

أمثلة:

١. عرف عرب الجاهلية نوعاً من الخطب موضوعها المباهاة في الجمع الحاشد بمراقبة الحسب، ونبالة الأصل وعلو المكانة، وشرف الأخلاق، وهذه هي المفاخرة أو المنافرة. وليس من المستطاع الاطمئنان إلى ما ورد من نصوصها الجاهلية، لأنها من النثر الذي لا يطمئن الباحث إلى صحته كما يطمئن إلى الشعر، ولأن ما بقي من هذه المنافرات موسوم بلغة متأنقة مسجوعة، ليست مما يقال عفواً الخاطر، من ذلك منافرة عامر بن الطفيل[١] وعلقمة بن علاثة[٢] إذ تنازعا الرياسة فقال علقمة لعامر: أنا خير منك أثراً، وأحدّ منك بصراً وأعز منك نفراً، وأشرف منك ذكراً. وقال عامر: إني اسمى منك سمة، وأطول منك قمة، وأحسن منك لِمّةَ، وأجعد منك جُمّةَ، وأرع منك رحمة، وأبعد منك همة. وشتان ما بين هذه العبارات وما ورد من منافرة بني تميم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) عامر بن الطفيل : هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة فارس قومه وكان من شعراء العرب توفي وهو في طريقه الى قومه ولم يسلم وله ديوان شعر . ينظر : البغدادي ، خزانة الادب ، ج١ ص٤٧١ . الزركلي، الاعلام ، ج٤ ص٢٠ .

(٢) علقمة بن علاثة : هو علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري وال ، من الصحابة من بني عامر بن صعصعة كان في الجاهلية من اشراف قومه ارتد ثم عاد إلى الاسلام وولاه عمر بن الخطاب حوران وفاته فيها اقوال قيل سنة ٦١هـ و٦٢ و٦٣ و ٦٥و٧٢ و ٧٣ هـ. ينظر : البغدادي ، تأريخ بغداد ، ج١٢ ص٢٩٦ ، ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ص٢٧٦. البغدادي ، خزانة الادب ،ج١ ص٨٨و٨٩. ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٧ ص٢٧٦.

٢. فقد وفد[١] بنو تميم على النبي صلى الله عليه وسلم لينافروه فقالوا جئنا لنفاخرك، ثم قام خطيبهم فقال: (الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله، الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثره عدداً، وأيسره عُدة، فمن مثلنا في الناس؟ فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا وإنا نُعرف بذلك. أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا، وأمرٍ أفضل من أمرنا)، فأمر النبي ثابت بن قيس بأن يرد عليه فقال: (الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن لرسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرم الناس أنساباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعالا. ثم كان أول الخلق استجابة لله نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا، وكان قتاله علينا يسيرا، أقول قولي هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات). ولقد أبطل الإسلام كثيراً من عادات الجاهلية وساوى بين الناس جميعا وآخى بينهم، و أنكر العصبية الجاهلية، فتوارت المفاخرة حيناً ثم عادت في العصر الأموي في قالب من الحوار.

٣. ومنها خطب الوفود التي وفدت على سيف بن ذي يزن لتهنئته بطرد الحبش من اليمن، والوفود التي قدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تعلن إسلامها، والتي جاءت إلى الخلفاء الراشدين ومن بعدهم لتعلن تأييدها أو تجهر بشكواها ومنها خطب الزواج التي كان يلقيها أهل الخاطب في أهل الفتاة يشيدون بمكانة أنفسهم، ويعرضون على أهل الفتاة رغبتهم في الإصهار إليهم، ويحددون المهر،

---

[١] ينظر: الدكتور أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص ص٩٣-٩٧.

ويذكرون من محامد العروس ما يكافئ مكانة المخطوب إليهم، وكثيراً ما كان أهل الفتاة يردون عليهم، مرحبين بهم، ومفتخرين بأقدارهم. وإذا كان مجال هذا النوع ضيقا، وكانت العواطف فيه هادئة، والأفكار التي يعرض لها الخطيب محدودة، استحسنوا أن يخطب فيه الخطيب قا-داً لا قائماً، وشعر منهم بأنه شاق على النفس ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يتصعّدُني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح.

ومن أمثلة هذا النوع من الخطب[1] خطبة ابي طالب في زواج النبي بالسيدة خديجة، وكذلك خطب عبد المطلب عندما وفد جماعة من قريش على سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الأحباش واجلائهم من اليمن قائلا.

(إن الله أيها الملك أحلك محلاً رفيعاً، صعباً منيعاً، باذخاً شامخاً، وانبتك منبتاً طابت أرومته، وعزت جُرثومته، ونُبّل أصله، وبَسَق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن، فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي به تُخْصب، وملكها الذي به تتقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومَعقِلها الذي يلجأ إليه العباد سلفُك خير سَلَفَ، وأنت بعدهم خيرُ خَلَف ولن يَهْلك من أنت خلفه. نحن أيها الملك بالرفعة والمتعة وبطيب المنبت وعراقة الأصل، ثم مدحه بأنه سيد العرب وموئلها ومعقلها، وبأنه خير سلف، ثم بين أنهم قد وفدوا للتهنئة لا لنيل العطاء.

٣. خطبة التأبين : وهي الخطبة التي تلقى على قبر الراحل العظيم أو المتوفي العزيز، أو في حفل تأبينه أو في ذكرى وفاته. فيبين الخطيب عظيم الفجيعة فيه ويعدد مناقبه، ويجلي آثاره، ويواسي آله وأحبابه والمتبع أن يبدأ الخطيب خطبته بتصوير الفاجعة، والأسى والحسرة ثم يعرض تأريخ الفقيد، ويشيد بما كان له من جهاد أو إصلاح أو نبل، أو يحلل شخصيته ويبرز نواحي عظمته ويضرب الأمثال من تأريخه وحوادثه ثم يشارك الخطيب آل الفقيد في فجيعتهم ويعزيهم، ويواسيهم

---

[1] ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، جـ٤، ص٢١٣.

بأن ذكرى الفقيد باقية فيهم وأن منهم خلفاء له، وقد يختم الخطبة بكلمة يتوجه بها إلى روح الفقيد، يدعو له بالثواب، ويطمئنه على أن من خلفوه حريصون على تعاليمه ونصائحه وإرشاداته ووصاياه، قوامون على رعاية كل ما كان يرعى.

٤. الخطبة الاجتماعية: وهي الخطبة[١] التي تعرض لدراسة مشكلة من مشكلات المجتمع فتبرز العيوب وأسبابها وتُطبِبُ لها. وبعض هذه الخطب تتنظمه الخطابة وبعضها لا تنتظمه، فإذا اعتمد الخطيب[٢] على الدراسة وحدها، ولم يضف اليها الإلقاء الخطابي فهو محاضر لا خطيبي وإذا أضاف إلى الدراسة إثارة المشاعر بفنه الخطابي وتصويره الجميل وتخييله الساحر فهو خطيب لا محاضر كخطب الإخاء لأن كلمة إخاء التي ينادي بها دعاة الإنسانية في عصرنا هي ليست ابنة اليوم هي أبنة جميع العصور عصر ما قبل الإسلام وعصر النبوة والخلافة الراشدة الذي هو أزهى وأرقى عصور الأخوة في التأريخ ثم العصر الأموي ثم العباسي، ولقد برزت إلى الوجود منذ شعر الإنسان بأن بينه وبين الآخرين اشتراكاً في فكرة أو عاطفة أو منفعة وبأنهم يشبهونه رغبات واحتياجات وميولاً. يجب أن يتألم المرء ليدرك عذوبة الحنان، يجب أن يرتفع ليعرف حاجة الآخرين إليه وحاجته إلى الآخرين، يجب أن يرى حقوقه مهضومة يُزْدَرى بها ليفهم أن حقوق الغير مقدسة يجب احترامها، يجب أن يرى نفسه وحيداً ملتاعاً دامي الجراح ليعرف نفسه أوّلاً ثم يعرف غيره فيستخرج من هذا التعارف العميق معنى التعاون والتعاضد، وكذلك ارتقى معنى الإخاء بارتقاء الإنسان. وعليه فلا رجاء في أمة لا يكون لها إيمان، ولا في شباب أمة إلا أن يكونوا مؤمنين، أما الإيمان في الإنسان فليس طبيعة ولا غزيرة، ولكنه كسب عن تقليد، أو كسب عن تفكير، فإذا رسخ نتجت عنه البواعث الملهمة، وليس المهم كيف نؤمن وإنما المهم أن نؤمن نعم ولكن نؤمن بماذا ؟ نؤمن بشيء أنت دونه وتريد أن تسمو

---

[١] ينظر: المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٩٣.

[٢] ينظر: علي، فياض (الدكتور)، الخطابة ص ص٩٩-١٠٢.

إليه، تؤمن بقوة تستعين بها على ضعفك، تؤمن بباعث عظيم من بواعث الأمل، وبواعث العمل، تؤمن بمثل من الأمثلة العليا تريده لنفسك فرداً ولامتك جماعة، تؤمن بمثل عالٍ من الشجاعة يصونك عن التذلل والخَوَرَ، تؤمن بمثل عال من الكرامة يصونك عن كل مهين وخسيس، أما أنا فواحد من الذين يؤمنون بالقوة العظمى التي تجمع الصفات الخيرة في أسم الله وإيمانه به إيمان الضعيف بالقوي، ولكني حين استمد منه القوة أحسن كأنني ارتفعت فوق المتاعب والمناعم، وفوق الفقر والغنى، وفوق الإخفاق والنجاح بل فوق الموت والحياة، لأني ركنت إلى العمد الباقي، ولقد أكون في المأزق الضنك أوْ في الليلة الشادهة فألقي بضعفي بين أحضان تلك القوة فإذا بي قد أوتيت همة جديدة وقدرة جديد على مجابهة الصعوبات والثبات، أجابني هاتف من قرارة روحي لابد للعراق من مؤمنين بالله وبالوطن قل لهم إن ربكم من إيمانكم به جد غني أما العراق فإلى إيمانكم بها جِدٌّ فقيرة، قل لهم أن قلوبكم إذا خلت من ذكر الله فإن ذاكريه في الأرض والسماء ليس يحصيهم العدد ولو طال، فأما العراق فلو خلت قلوب العراقيين من ذكرها فمن ذا يذكرها سوى العراقيين، قل لهم ليس مؤمنا بالله من لا يؤمن بالوطن وقد أسبغ الله على العراق ورزقه وكساه جماله وجعل له آية السبق في الأولين ليلحق بها المتخلفون، وامتحنها في الحاضرين بمحنة التخلف لتنهض فتلحق السابقين، وعليه فأن من جحد نعمه، وعق كنانته واتخذها سخرية ولعباً بربه من الساخرين.

٥. الخطابة الدينية . موضوعها: هي التي تعتمد على إثارة العاطفة لتحبب اليها الخير، وتنفرها من الشر وتوجهها الى تقوى الله وحبه وخشيته، وقلوب السامعين متفتحة للتأثر بالخطب الدينية لأنها تصلهم إلى الخالق سبحانه وتعالى، وتعلو بهم عن الأرض إلى السماء وتبصرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فالخطيب يتكلم من قِبَل الله والموضع ديني روحي، وثمرة الخطبة سعادة الفرد والمجتمع وتمجيد الله وطاعته، وابتغاء الخير ولابد أن يكون الخطيب الديني متثقفا ثقافة دينية واجتماعية وتأريخية وأدبية، ليمتلك قلوب السامعين بطلاوة عبارته وحلاوة تصويره، وطرافة معانيه وحداثة موضوعاته، ثم لابد من إجادة الالقاء، ومما يبشر بالخير أن بعض

الخطباء قد جددوا، وانشأوا، وتمشوا مع الحوادث، وأحسنوا الالقاء وإنا لننتظر في شوق ولهفة أن يكون خطباء الدين جميعاً لُسْنا ثقاول، ليطهروا النفوس من الأثرة والشر، وليُسهموا في إعزاز الدين وإعلاء كلمة الله في عصر يتحلل فيه كثير من الناس من الدين وينسلّون، وهم إنما ينفلتون من سعادة إلى شقاء ومن شرف إلى ضعة، ومن حياة إلى فناء.

نموذج من الخطب الدينية

أ- خطب صلى الله عليه وسلم فذكر السامعين بالموت وعجب من تغافلهم عنه، وبين ان الخير لمن شغله عيبه عن عيوب غيره ، ولمن انفق حلالاً. وخالط العلماء والفقراء ، وحسنت أخلاقه، واستمسك بدينه فقال (ايها الناس[1] كأن الموت فيها على غيرنا قد كُتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذي نشيع من الاموات سَفْر عما قليل الينا راجعون نبوئهم اجدادهم، ونأكل من تراثهم، كأننا مخلدون بعدهم، ونسينا كل واعظة وأمن كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن انفق مالا اكتسبه) [2]

وخطب البصري في يوم فطر وقد رأى الناس وأزياءهم فقال (إنَّ الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته، فسبق اقوامٌ ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجبُ من الضاحك اللاعب ، في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ، ويخسر فيه المبطلون، أما والله أنْ لو كشفَ الغطاء لشُغلِ محسنٌ بإحسانه، ومسيء باساءته عن ترحيل شعر، او تجديد ثوب)[3]. وبعد فإن خطباء المساجد يُحسنون صنعا إذا جاروا الحوادث التي تمر بها الأمة العربية الاسلامية وعالجوا بالدين مشكلات المجتمع المتعددة المتجددة، ويحسنون صنعا إذا راعوا البيئة وما يلائمها من موضوعات ومعان وأساليب، فما من شك في أن خطب المساجد في المدينة يجب أن تغاير احيانا خطب المساجد في القرى والأرياف والموضوعات التي تليق بالتجار غير التي تليق بالموظفين وهكذا .

---

[1] ينظر: أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج١ ص١٢ .

[2] ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ٨، ص١٥٣.

[3] ينظر:ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج١ ص٢٩ .

المبحث الثاني

الخطابة القضائية : تعريفها ، غايتها ، خصائصها .

تعريفها : هي التي تلقى في المحاكم سواء كان الملقى ممثل النيابة أم المحامي عن المتهم.

غايتها: الغرض منها تمييز الحق من الباطل ، والفصل في المنازعات، ومساعدة العدالة على القصاص من الجاني ، وتبرئة المتهم البريء، وحماية المجتمع من الجريمة ولذلك يجب أن يتعاون القاضي والنائب والمحامي على احقاق الحق، ونصرة المظلوم، ومحاربة الجرائم، ومن الباطل أن يحترف بعض المحامين للاستغلال وكسب المال، وذلك بتنجية المجرم الآثم بقوة البيان ، وفصاحة المنطق، وذلاقة اللسان وهم يعلمون أنه أثيم ، ولكنهم يبتدعون الحيل لافلاته بدعوى أنه لم يجرم، على أنهم في حل من أن يحاولوا تخفيف العقوبة ببيان دوافع الجريمة وظروفها وعللها.

ولخطورة الخطابة القضائية نظر إليها القدماء نظرة فيها وجل وتردد، فمثلا كان قدماء المصريين في بعض عصورهم يقيدون المرافعة بأن تكون مكتوبة، مخافة أن تتأثر العدالة بخلابة الخطابة ،وتبين اليونان أثر مرافعتهم، فسنوا القوانين لمنع الخطباء من استخدام الوسائل المثيرة للوجدان ، وبالغوا في ذلك حتى عينوا رجلا يقاطع المحامي أو يسكته إذا رآه يحاول إثارة العاطفة.

اما الرومان فقد تركوا الدفاع حُرّاً يقول ما يشاء ، ثقة بالقضاء واعتماداً على صراحة القانون ووضوحه وهذا هو النظام المتبع في العالم اليوم . وإذا كان بعض القضاة يؤجلون الحكم مدة بعد سماع المرافعات فإنما يفعلون ذلك ليدرسوا ويوازنوا أقوال الدفاع بأقوال الاتهام ، وهم بنجوة من تأثير هؤلاء وهؤلاء .

مرافعة النيابة وخصائصها

النائب هو الذي يقوم باثبات الجريمة ، ويدلل على اقتراف المجرم لها، ويطلب من القاضي ادانته بمواد من القانون مناسبة لجريمته وعليه في مرافعته:

اولا . ان يذكر الأدلة خالية مما يهيج العاطفة ضد المتهم إلا بقدر، فإذا توقع أن الدفاع سيثير العاطفة كان له أن يستثيرها .

ثانيا. أن يصور الجريمة تصويرا واقعياً حقيقيا لا خيال فيه ولا تَزَيُّدْ[1]، حتى تتكشف الحقيقة امام القاضي.

ثالثا. أن يشرح الجريمة في غير ايجاز مخل يُعَمّي على العدالة ولا اسهاب مُمِلّ يضيع وقت القاضي ويضعف نشاطه .

رابعا. أن تكون عباراته عن المتهم مهذبة لا تهجم فيها ولا عدوان ولأسباب لأن المتهم بريء حتى تثبت إدانته .

خامسا.أن يحْدِس قوة المحامين، ويعرف أقدارهم، فإن كانوا من ذوي البلاغة والرسوخ في المهنة جاراهم من غير أن يتجنى على المتهم او يلبس على العدالة.

سادسا.وعلى النائب أن يختار العبارات السهلة المنسجمة المترسلة الواضحة المعنى، وألا يتكلف المحسنات البديعية والأساليب البيانية ، حتى لا تلتبس الحقائق بالخيال .

سابعا. وإذا ما عرض لقوة القانون وسلطانه فليتحيز الالفاظ الفخمة والعبارات القوية، ليمثل مهابة القانون .

المحامي وخصائص مرافعته

المحامي وكيل المتهم ونائب عنه ومهمته شاقة ، وكثير ما يناط به تبرئة متهم مظلوم حيكت حوله أحابيل ، او تخفيف العقاب عن جان كان خاضعا لمؤثرات فوق طاقته، فليجعل هدفه تبرئة البريء الذي يعتقد براءته ، أو تخفيف العقوبة عن جان اقترف جرما لظروف وبواعث قاهرة، ويعينه على ذلك أن يكون على ثقافة بأحوال الجماعة وطوائف الأمة وما يجري بين الناس في شؤونه المختلفة ، وأن يكون على

---

[1] ينظر: الدكتور أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص ص٧٦-٧٩ .

دراية تامة بالقانون وشروحه ، وآراء الفقهاء ، وملما بعلوم شتى لأنه يستمد مرافعته من كل علم، وأن يكون نهّازة للفرص يراقب ما يجري في المحكمة، وما يقول الشهود والخصوم ومن وسائل نجاحه أن يكون حاضر البديهة، لَسِنا جريئا لا يضطرب اذا هوجم .

خصائص مرافعته

أولاً . من حيث الاعداد، حيث يجمع عناصر لقضية، ويدرسها محكمة، ويرتب عناصرها ترتيبا متسلسلا، ويكيفها التكييف القانوني الذي يراه، وعليه أن يتمثل حجج خصمه وردوده حتى يستعد لدحضها، وأن يبدأ بأقوى الأدلة ليستميل القاضي ويقنعه بعدالة مطلبه، ويدخر بعض الأدلة القوية ليراوح بينها وبين الأدلة الأقل قوة، ليضمن توازن الدفاع وانتباه القاضي، ومن الخطأ تتابع الأدلة القوية، ثم توالي الأدلة الضعيفة، لأن ذلك يضعف ختام المرافعة، وخير للمترافع أن يكون ختام مرافعته قويا ناصع الحجة، ثم عليه أن يذكر الحوادث مسلسلة واضحة ليسهل على القاضي أن يستنبط، وليلاحظ أن لغة المرافعة لغة حديث لا كتابة، حديث يشافه به المحامي القاضي مستعينا بوسائل الالقاء من حركة واشارة نبرات شخصية وسرعة بديهية. وإذا كان أكثر المحامين يعدون مرافعتهم، فإنما يراعون أن يكتبوها بلغة غير لغة الكتابة ، لغة كأنها مرتجلة، وخير طريقة إلى ذلك أن يتخيلوا محكمة يترافعون فيها، وقد وصف أحد المحامين طريقته في اعداد مرافعاته فقال (انه كان يفكر أياما قبل المرافعة في قضية عظيمة، فاذا ما دنت الجلسة أدى إلى مكتبه وترك قلمه حرا يسجل ما يجول بخاطره، كأنه يخطب في المحكمة فإذا ما فرغ طوى ما كتب، وقد ارتسم في ذهنه، واتضحت أمامه معالم الدفاع، ثم يترافع مهتديا بما رسم ومعتمدا على موهبة الارتجال)[1].

---

[1] ينظر: الدكتور أحمد محمد الحرفي ، فن الخطابة ، ص٨٢ .

ثانيا. من حيث الالقاء، حيث حسن الالقاء في كل أنواع الخطب عون الخطيب وعدته، ومن الخطأ أن يلقي من مكتوب أمامه ، بل يرتجل بعد أن درس وحضّر وأعد ليستطلع بنظاراته ما حوله، من أعراض وإقبال، وليكون طلقا يتصرف في دفاعه حسب الظروف، لاجامدا مقيدا بما كتب، ثم ليستطيع أن يشير ويتحرك ويلاحظ. ولا بد له من تغيير نبرات الصوت ليصور عاطفته ، وليجدد نشاط القاضي.

ثالثا. من حيث التعبير[1] .

(١) ان تكون اللغة موائمة لذوق رجال القانون ، ملائمة لعرفهم وعقليتهم واضحة لا اسفاف فيها ولا تعالي .

(٢) ان يلبس نفسية المتهم ، ويتقمص روحه ، فيبين ظروف الإتهام أو ظروف الجريمة كأنه هو المتهم لتكون لغته حارة .

(٣) ان يمهد لمرافعته بعبارات شائعة مثيرة للاهتمام ، حتى إذا أحسّ أن النفوس مهيأة لسماعة شرح يفصل موضوعه .

(٤) ان يتوخى سهولة العبارات حيث أنه يستطيع المحامي بنبرات صوته وجمال معانيه وبلاغة تعبيره، وقوة حججه أن يسيطر على سامعيه من جمهور وقضاة وزملاء حتى لتحسبهم يغضبون إذا غضب، ويشفقون إذا لان صوته واستدر رحمتهم، ولكن سهولة العبارة تؤدي إلى فهم المعنى دون التردد والالتباس والوهم، ولذلك فقلما نجد دعوى لا يختلط فيها حق بباطل ، كالذهب في منجمه يخالطه تراب وصخر، والمحامي البارع هو الذي بعباراته السهلة الجميلة الجذابة الرنانة الأخاذة يستطيع أن يستخرج الذهب ويخلصه مما يشوبه، وذلك بأن يذكر العلل الخارقة وجلو الامور المبهمة ، ويحل المسائل المعقدة ، ويقوي الحق بدفاعه قرب حق خذله المطالب به، المدافع عنه ، ورب دليل قوي قعدت به اللغة الركيكة والالقاء المتهافت.

---

[1] ينظر: الدكتور نقولا فياض ، ص١٣٤.

المبحث الثالث
الخطابة الحربية

موضوعها وخصائصها

لطالما استمد السيف الى مضائه قوة من الخطابة تزيده مضاءًا، وكثيراً ما لجأ القادة الى الكلمة[1] يشعلون بها الجنود حماسة إلى الاستبسال، وكثيرا ما كان الخطباء يشدون أزر الجيش المقاتل بما يلقون من خطب ويوقدون حماسة الشعب ليجود بالدماء والأموال. ولئن كانت الخطب السابقة مجالا للتحضير والتنقيح والتوي، فإن الخطابة الحربية كثيرة ما تستهل لوقتها، إذ يفجأ الزمن القائد، فينتزع من بديهته المسعفة خطبة مرتجلة، على أنه احياناً يعدها لظرف يتوقعه. ومهمته شاقة، لأنه لا يستطيع أن يسمع الجيش كله، ولذلك جرت العادة الآن أن تكتب الخطبة وتوزع على الجند، والغرض منها بعث العزيمة في نفوس الجند، وإذكاء حماستهم، وتبشيرهم بالنصر، وبث الثقة وتهوين الموت، والقائد يتخير الجمل القوية القصار، ويلجأ الى الخيال كثيراً يستثير به عظمة الماضي والأمل في الحاضر، ويُمنّي بالفوز والمجد وينفر من التخاذل والانكسار .

نموذج من خطب العرب الحربية

وقد اثر عن العرب والمسلمين فيض من هذه الخطب نذكر منها النماذج :

أ. خطبة هانيء بن قبيصة الشيباني في موقعة ذي قار وهو يحرض قومه على الفرس والتي مطلعها (يا معشر بكر هالك معذور خير من ناج فرور ...) الى آخر الخطبة والتي سبق وان تحدثنا عنها ومن أعظم الخطب الحربية الخطبة المنسوبة الى طارق بن زياد[2] قبل فتح الاندلس. (ايها الناس، اين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر، واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته واقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلاّ سيوفكم، ولا أقوات إلاّ ما

---

[1] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، جـ١، ص٣٠٠. الدكتور محمد طاهر دروش، الخطابة في صدر الاسلام، جـ٢، ص٦٤.

[2] طارق بن زياد : هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهامي بن يطوفت بن نفزاو الليثي بالولاء، فاتح من الاندلس اصله من البربر ، اسلم على يد موسى بن نصير ولي طنجة سنة ٨٩هـ. ولي قيادة الجيش لفتح الاندلس واستولى على الجبل (جبل طارق) واحرق السفن قتل ملك القوط لذريق وافتتح اشبيليه واحتل طليطله توفي سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م ز ينظر : ابن عساكر ، تأريخ ابن عسكر ،ج٧ ص٣٨. ابن الاثير، الكامل في التأريخ ، ج٥٤ ص٢١٢ ، الزركلي ، الاعلام ، ج٣ ص ص٣١٣-٣١٤ .

تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم امرا، ذهبت ريحكم، وتعوّضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهازالفرصة فيه لممكن إن سمحتم لانفسكم بالموت، وإني لم احذركم أمراً أناعنه بنَجْوة، ولا حملتكم على خطة أرْخَصُ متاع فيها النفوس أرباً فيها بنفسي. وأعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بألارقه الالد طويلا، فلا ترغبون بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه أوفر حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقْيان، المقصورات في قصورالملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك[1] أمير المؤمنين من الأبطال عُزْبانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختانا، ثقة منه بارتياحكم للطعان وأسماحكم بمجالدة الابطال والفرسان، وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن المؤمنين سواكم، والله تعالى وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذاكراً في الدارين.

وأعلموا أني اول مجيب الى دعوتكم اليه، وأني عند ملتقى الجَمْعَيْن بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله انشاء الله، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره، ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه، وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يُخْذلون) [2].

---

[1] الوليد بن عبد الملك :هو الوليد بن عبد الملك بن مروان وامه ولادة بنت العباس ، ابو العباس من خلفاء الدولة الاموية في الشام ولي بعد وفاة ابيه سنة ٨٦هـ وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد وامتدت حدود الدولة الاسلامية في زمنه إلى بلاد الهند فتركستان فأطراف الصين شرقا وبنى المسجد الاقصى في القدس وبنى مسجد دمشق الكبير توفي بدير مُرّان (من غوطة دمشق) سنة ٩٦هـ ومدة خلافته ٩ سنين و(٨) أشهر (ينظر : اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ص١٩٧- ٢٠٤، الطبري ، تأريخ الرسل والملوك، ج٨ ص٩٧)

[2] ينظر : الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، ج٨ ص٨٥ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج١ ص١٣٢ ، المقرّي، احمد بن محمد التلمساني ، (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق: احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٨م)، ج١ ص١١٢. احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج٢ ص٣١ض٤ ، المقرّي ، احمد بن محمد التلمساني ، (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق :أحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٦٨م)، ج١ ص١١٢ .

تحليل ومناسبة الخطبة

عندما عبر طارق بن زياد البحر سنة ٩٢هـ على رأس جيش نمى خبره الى لذريق وهو ملك القوط فأقبل لمحاربته بجيش جرار ، وخاف طارق ان يستحوذ الرعب على جنده لقلتهم فأحرق السفن التي أقلتهم حتى يقطع من قلوبهم كل امل في العودة، وقام فيهم فحمد الله واثنى عليه حيث بدأ خطبته بالحمد والثناء لله وحده ناصر جنده وهازم الاحزاب وحده وذكرهم، وهذا هو شأن القائد المحنك الشجاع، انه سيتقدمهم في مناجزة طاغية القوط لذريق بنفسه، وهذا هو شأن القادة الابطال الذين تقدموا جيوشهم فكان النصر لهم . ولفت انظار الجند المسلمين معه بأنه سيتقدم وهم من ورائه وذكرهم بالعزيمة العزيمة والتوكل التوكل وعليهم إن هلك القائد أن يأخذوا ويتقمصوا عزيمته فلا يخذلوا بعده ابداً بأذن الله.

من خطبة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام حيث كان يقول لاصحابه في بعض ايام صفين (فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدموا الدارع وأخروا الحاسر، وعضو على الاضراس فإنه أنبى للسيوف عن الهام، وأربط للجأش، واسكن للقلوب، وأميتوا الاصوات ، فإنه أطرد للفشل ، وأولى بالوقار، والتووا في أطراف الرماح، فأنه أمور للاسنة، ورايتكم لا تُميلوها، ولا تزيلوها، ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم المانعي الذمار، والصبر عند نزول الحقائق ، أهل الحفاظ الذين يخفرون برايتكم، ويكنفونها، ويضربون خلفها ، وامامها، ولا يُضيعونها)[١].

من خطبة لخالد بن الوليد[٢] يوم اليرموك يشير فيها الى اهمية وحدة الجيش في النصر قال (ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله فقد افرد كل رجل منكم ببلد

---

[١] ينظر: الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ،ج٦ ص٩ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ص٤٨٣ ، أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج١ ص٣٤٨ .

[٢] هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القريشي سيف الله الفاتح الصحابي كان من اشراف قريش في الجاهلية. اسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ قاتل مسيلمة الكذاب وفتح الحيرة سنة ١٢هـ واصبح امير الشام مات بحمص في سورية سنة ٢١هـ (ينظر : اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ص٣٨ ، ابن الجوزي ، صفة السفوة، ج١ ص٢٦٨. ابن حجر العسقلاني في ج١ ص٤١٣، الزركلي ، الاعلام ، ج٢، ص ص٣٤١-٣٤٢)

من البلدان، لا ينتقص منه إن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه إن دانوا له، أن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هلموا فإن هؤلاء قد تهيأوا وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وان هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور[1] الامارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غداً، والآخر بعد غدٍ، حتى يتأمر كلكم ودعوني أتامر اليوم) [2] فأمروه وانتهت الموقعة بهزيمة الروم شرهزيمة وكان ذلك سنة ١٣هـ.

ومن الخطب الحربية خطبة يزيد بن أنس الاسدي عندما قام الزبيريون بحرب المختار بن أبي عبيد الثقفي واعوانه من الشيعة ، وخطب يزيد بن أنس في صفوف المختار فقال (يا معشرَ الشيعة، قد كنتم تُقتلون، وتُقطّع أيديكم وأرجلكم وتُسْمَلُ أعينكم، وتُرفعون على جذوع النخل في حب أهل بيت نبيكم وانتم مقيمون في بيوتكم ، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظَهروا عليكم اليوم، إذاً والله لا يَدعون منكم عيناً تَطْرِف، وليقْتلنكم صَبْراً[3]، ولترونّ منهم في اولادكم وازواجكم واموالكم ما الموتُ، خيرٌ منه، والله لا يُنْجيكم منه إلاّ الصدقُ والصبر، والطعنُ الصائب في اعينهم، والضربُ الدرّاك[4] على هامِهم فَتيسَّرو للشدة[5]، وتهيئوا للحَمْلة، فإذا حركتُ رايتي مرتين فاحملوا[6]) .

---

[1] نتعاور الامارة بمعنى نتعاقب عليها . ينظر: ابو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص ص٤٦١-٤٦٢.

[2] الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، ج٤ ص٣٣ ، ابن الاثير ، الكامل في التأريخ ، ج٢ ص٢٠٠ ، احمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ج١ ص٢٠٣ رقم ٦٦ .

[3] قتل صبرا : بمعنى حبس ورمي حتى مات . ينظر: أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، ص٥٢١.

[4] الدراك : بمعنى المتوالي . ينظر: م. ن، ص٢٠٣.

[5] تيسروا للشدة : بمعنى استعداد للهجمة والمعركة . ينظر: م. ن، ص٧٤٢.

[6] فاحملوا اي بمعنى اهجموا على عدوكم. ينظر: م. ن، ص١٥٦.

دراسة ونقد وتحليل[1]

فالقوة التي نراها هنا منبعثة من قوة القائل وشدة الموقف نفسه ، فهي في ميدان الحرب، خرج إليها اصحابها عامدين وقد وطنوا النفوس على بلائها ولأوائها، والخطيب خبير بطوايا النفوس ، لذلك لم يعتمد في اثارة اصحابه على العبارات القوية والجمل الحماسية وحدها ، بل ضم اليها التبصير بما سينالهم بعد الهزيمة، وقد كانوا في طاعة عدوهم يقتلون ويُصلبون وتقطّع ايديهم وأرجلهم ، فلجأ الى العقل والمنطق والحجة والماضي يستثيرها جميعاً ويجعل الحكم عندها، وجعل لتصوير المواقف والأحداث وتصورها جانباً يلجأ إليه وقاس المستقبل إلى الماضي فلم يترك لهم سبيلا بعد هذا إلا الصدق والصبر والطعن والضرب، غضب الخطيب وذكر ثأره فاستجاش الغضب والحميّه في صدور أنصاره بما ذكر وحين صور المصير الذي ينتظرهم في أعزما عندهم في أولادهم وأزواجهم وأموالهم ، مصير الموت خيرٌ منه. وفي هذه الخطبة اتجاه الى التجويد ، وعناية بتحسينها ، وقد اعتمد في التأثير بها على أسباب اخرى غير العاطفة ، وصدق التعبير، وشرف الغاية، كرعاية نسجها، والاهتمام بعرض الصور فيها، فنحن نرى ألفاظاً وجملاً اعمق واقوى في الدلالة على المعنى ويتخللها السجع اكثر وقعاً والتصوير وضوحاً، والتأكيد في مواضع التأكيد تأثيراً، فهو حين يحكي الماضي الذي يعرفونه يسرده سردا، فإذا ذكر المستقبل الذي يتوقعونه أكده تأكيدا وذلك في مثل قوله (فما ظنكم بهؤلاء القوم إن اظهروا عليكم اليوم! إذاً والله لا يدعون منكم عينا تَطْرِف، وليقتلكم صبراً ولترونَّ منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ، الموت خير منه) فيؤكد قوله بالقسم واللام ونون التوكيد ثم يضيف قوة الى قوة ، حين يعمق اثر الكلام ، بأبهام ما يمكن ان يروا بأعينهم في اولادهم وازواجهم واموالهم من عواقب ، النفوس في توهم ذلك كل مذهب بعيد ومع القسم القصر وبعض الازدواج والسجع.

---

[1] ينظر: الدكتور أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص١١٦.

الخاتمة

الآن وقد انتهينا من الدراسة والبحث نحمد الله حمداً كثيراً الى حيث أردنا، حيث أنّ هذا التراث الغني هو حلقة الوصل بين سالف المجد والسؤدد وحاضر تكون افادته واستيعابه من هذا الارث الكبير بما يفترض من توسل ذوي الكفاية من هذه الأمة بكل ما يلزم من القدرات والطاقات والأدوات لربط القناطر والجسور كي يعبر تراثها بعلومه وآدابه وفنونه وقوة تأثيره الروحية إلى حاضرها العتيد الغث، فبدون هذه النقلة أو هذا التواصل سيظل حاضرنا فقيراً منكفئاً لا يقوى على الثبات بين تيارات الحضارات الراهنة، من خلال هذا التصور تبلورت الفكرة لدى الباحث للإدلاء بدلو في معين هذا التراث واستلقاط ما يتيسر من كنوز هذا البحر الثر، وإنه لشرف جليل أن نكون أحد السالكين لشعاب المعرفة والعناية بتأريخ امتنا العربية التي انتظمت لبانته بنسق كل نظيره بتوفيق من الله تعالى اولاً ثم بتضحية من أبنائها وشهداءها الذين رفرفت راياتهم خفاقة تصدع بالحق قبل اقصى الشرق حيث جبال الصين وجنوب المغرب حيث كانت فرنسا على مرمى حجر عن سنابك خيل عبد الرحمن الخافقي في بلاط الشهداء، عليه ينبغي أن نلخص ما قدمناه في هذا القطوف الطويل تلخيصاً يبرز أهم معالمه ويكشف عما حققناه من مسائل ويوضح ما وصلنا اليه من نتائج، قد تضيف إلى صرح المعرفة الشامخ لبنة متواضعة، وينبئ عما أثرناه من جوانب البحث التي ربما مهدت الطريق أمام الباحثين والدارسين للوصول الى جديد آخر، فقد تكلمنا عن الخطابة الجاهلية أي عصر ما قبل الاسلام ودواعيها العامة والخاصة ومنزلتها عند العرب قبل الاسلام وعن أشهر خطبائهم وبينا رأينا من حيث الدراسة والتحليل والموازنة والنقد ومدى صحته وناقشنا رأي من ينكرون أنه كانت للعرب خطابة ذات غناء لأن الخطابة باعتبارها فرعاً من فروع اللغة العربية التي هي لغة العرب اصبحت فيما بعد لغة القرآن حيث يقول الشاعر حافظ ابراهيم:

لغة القرآن هذه رفع الله لواها

وقد كان العربي يعتز اعتزازاً كبيراً بلغته وظهر خطباء فُصحاء كان لهم الوجاهة والريادة عند قومهم فهم المدافعون الحقيقيون عن القبيلة آنذاك، وقد كان للعرب قبل الإسلام دور حضاري ولهم علاقات مع بقية الأقوام المجاورة أو الذين عايشوا العرب في تلك الفترة، فاطلاق كلمة جاهلية على العصر الذي سبق الاسلام إنما هو لجهلهم بأمور الدين الجديد ألا وهو الاسلام، وما نزول القرآن بلغة العرب إلا ليعجزهم فهو، أي القرآن، معجزة الرسول للعرب حيث بز أهل الفطنة والذكاء وتحداهم ان يأتوا بسورة من مثله ثم بينا في الفصل الثاني أن الاسلام كان نهضة عامة شاملة في الدين والسياسة والاجتماع والعقلية وقد نهض بالخطابة نهضة كبرى إذ اتخذها أداته الأولى إلى غايته وكان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد الخطباء، وكان خلفاؤه وأصحابه فرسان البيان في هذا المجال، كما اسعفته الخطابة بالعون الصادق في دعوته فتبادلا التأثير والتأثر، ونهض بها ونهضت به، ووازنا ذلك بما أصابت الخطابة من نمو وازدهار وعلو شأن في النهضات المختلفة وأوضحنا كيف اتسع سلطان الخطابة وامتد نفوذها حتى اجتذبت قسيمها الشعر إلى نطاقها، وطوته في مدها فاتجه اليها في كثير واخذ شكلها وطابعها، وقد ادت النهضة الاسلامية إلى تطور الخطابة في موضوعاتها وطابعها العام، وقد بينا مدى هذا التطور ووجهته، وحصرنا موضوعاتها والخطباء والخطب التي قيلت في كل موضوع من هذه الموضوعات والتي ركزت على الخطابة الدينية السياسية، وبينا المصادر التي تستقى منها هذه النصوص الخطابية لأولئك الخطباء واحداً واحداً حيث أخذنا نموذج لخطبهم، مما يجعل من هذا البيان فهرساً دقيقاً شاملاً للخطب والخطباء ومصادر خطابتهم في عصر النبوة والخلافة الراشدة ووازنا بين خطابة هذا العصر والعصر الذي سبقه، وهو عصر ما قبل الاسلام، فتقرر أن الخطابة تأخذ صورة عصرها وتتأثر بأحداثه، لأنها ليست إلا تعبيراً عن الحياة القائمة وتمثيلاً لما يعتنقه أربابها من مبادئ وآراء وما مروا به من تجارب ، وقد عرضنا لما لابد منه فتكلمنا عن الرسول وخطبه، وكذلك خطباء عصره، وخطب خلفائه الابرار وآل بيته الكرام في ايجاز

يعطينا الملامح العامة لهذه الشخصيات الكريمة ويدل على اثر الشخصية في الأعمال الأدبية ومدى تأثر الخطابة بنزاعاتهم، وما تحمل من سماتهم ويكشف عن اقدارهم الرفيعة في هذا الميدان، وكان من الضروري أيضاً أن نعرض لبعض النصوص الخطابية بالدرس والنقد والرأي والموازنة فعرضنا نماذج لكثير من الخطب في هذا العصر المزدهر ووفيناها حقها من الدراسة التي تكشف عن مستواها وتدلنا عن خصائصها، وقد تبين من بحثنا تطور الخطابة في هذا العصر ومداه ، وتأثير الاسلام وقيام الطوائف الدينية والأحزاب والحضارة والفتوح في هذا التطور، ثم ادى هذا الى ظهور الخطابة السياسية في العصر الأموي حيث ظهرت الخطابة السياسية بشكل بارز وجلي، وكيف اختفت بعض الأغراض الخطابية وقامت أغراض خطابية جديدة وتحولت الخطابة من الميدان القبلي ثم الوعظ الديني والنطاق المحلي الى المجال العام، وكيف كان اثر القرآن الكريم في ألفاظها ومعانيها وأساليبها، كما تبينت مما سبق الخصائص الفنية لخطابة هذا العصر فاستلخصناها وعرضناها في شيء من الاجمال، واتضح لنا من دراستنا وبحثنا هذا أن عصر بني امية كان عصراً تسوده السياسة وتقوده العصبية الاموية على بني هاشم، ولهذا نجد أن الخطابة كانت معرضا للآراء والمذاهب السياسية بين الزبيريين والمعتزلة والخوارج والشيعة، ولهذا سُخّرت الخطابة من أجل توضيح سياسة هذه الاحزاب وهذه الطرق الدينية المختلفة والتيار السائد لسياسة بني امية ومعارضة العباسيين لهم والعلويين .

وكان اوضح آثار هذا الاختلاف والجدل والمناظرات بين هذه الفرق والطوائف مجسداً بخطابة كل واحد منهم، واعتمدوا على الخطابة في نشر مبادئهم والدفاع عن ارائهم ومجادلة خصومهم. وقد بينا موضوعات الخطابة واتجاهاتها الرئيسية مؤيدة بالنصوص الموجزة كما عمدنا الى تصوير هذا التطور من النصوص الخطابية ذاتها تصويراً جلا لنا الحياة السياسية والدينية والاجتماعية، وقد بلغ من صدق الخطابة وطواعيتها للأحداث أن استجابت الى ما أردنا ، واعطتنا من الصور الواضحة ما

رجونا وقد عرضنا بعض الخطب والخطباء من جميع الأحزاب والطوائف واعطينا النصوص حقها من الدراسة والتحليل والنقد والموازنة والتعليق وترجيح بعض ما وجدنا فيه من لبس او وهم .

وتناولنا بشكل تفصيلي ماهية الاسلوب الخطابي من حيث اهميته، وخصائصه، ووسائله، ووصلنا من خلال بحثنا هذا المتواضع إلى استخلاص الخصائص الفنية للخطابة في عصورها المختلفة الى القرن الثاني الهجري، وإني لارجو أن يتاح للباحثين والدارسين في هذا المجال فضل من القدرة على البحث والدرس والتوفيق في الوصول الى ماهو خير، وقد يُستفيد من بحثنا هذا ليضاف الى المكتبة العراقية والعربية والاسلامية ما يفيد ممن يريد أن يستفيد لعل الله سبحانه يجعل فيه خيراً ومعينا واضافة والحمد لله اولاً واخراً، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم، منه الهداية الرشاد، والتأييد والسداد.